توظيف المقومات التراثية للمدن التاريخية في ليبيا

(بلدة الجديد القديمة بمدينة سبها نموذجاً)

د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري

باحث مستقل, سبها, ليبيا

الملخص:

تهتم هذه الورقة البحثية بتوضيح المقومات التراثية للمدن التاريخية وكيفية توظيفها للاستفادة من هذا التراث المعماري والإرث الإنساني المتنوع, ومن تم؛ حمايته وتأهيله ليكون ذاكرة ومدرسة تاريخية وحلقة تواصل مع الماضي يزيد المنطقة غنى وثقافة وقيمة وتألقاً. وذلك من خلال اتخاذ بلدة "الجديد" القديمة بمدينة سبها كنموذجٍ, بوصفها واحدة من أهم المعالم والبلدات الأثرية في بلادنا التي قاومت الزمن محتفظة بطابعها الأصيل المستمد من التراث العربي والإسلامي, وشاهداً على حضارة عريقة انتشرت إلي ما حولها من المناطق داخل ليبيا وفي شمال أفريقيا, وهو ما أكسبها قيمة استثنائية تأكدت من خلال وضعها مؤخراً على قائمة التراث الثقافي بمنظمة الإيسيسكو التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: التراث, المقومات التراثية, المدن التاريخية, المعالم, البلدات الأثرية.

This research paper is concerned with clarifying the heritage components of historical cities and how to employ them to benefit from this diverse architectural and human heritage, and thus protect and qualify it to be a memory, a historical school, and a link with the past that increases the region’s richness, culture, value, and brilliance. This is done by taking the old town of “Al-Jadid” in the city of Sebha as a model, as it is one of the most important monuments and archaeological towns in our country that has withstood time, preserving its authentic character derived from the Arab and Islamic heritage, and a witness to an ancient civilization that

spread to the surrounding areas inside Libya and in North Africa. What gave it an exceptional value was confirmed by its recent placement on the cultural heritage list of ISESCO, affiliated with the Organization of Islamic Cooperation. Keywords: heritage, heritage components, historical cities, landmarks, ancient towns.

مقدمة:

تختزن المعالم الأثرية وعلى رأسها المدن التاريخية تاريخ وتراث المنطقة التي توجد فيها, بل وتمثل هوية تاريخية للدولة وجزء من شخصيتها أمام العالم. وتفتخر العديد من الدول بمورثها الثقافي المادي وغير المادي وتحرص على ترويج هذا الموروث وتسجيله على لائحة التراث العالمي للحفاظ عليه والتعريف به. وبلادنا ليبيا ليست استثناءً, فهي غنية بمورثها الثقافي الذي يعكس الهوية الليبية بمختلف أبعادها, ممتداً وضارباً في عمق الزمن, وصامداً متحدّياً لكل التأثيرات, جاء حصيلةً لإنجازات متراكمة عبر مراحل تاريخية متتالية؛ ليُكسب تلك المدن مقومات عديدة تتمثل في قيمتها التاريخية وموقعها الجغرافي وطبيعتها المناخية وغيرها من المقومات. وتعدّ بلدة الجديد القديمة إحدى أهم البلدات التاريخية وخاصة في منطقة الجنوب الليبي[1], حيث تعد الوحيدة من بين أغلب تلك البلدات التي لا زالت محتفظة بتركيبتها العمرانية وشكلها العام المتميز بالتماسك ووحدة الأجزاء, كما يظهر في تكويناتها الداخلية. والتي جاءت عبر مراحل تاريخية تتالت لتعطي هذه البلدة عدة مقومات سيتم الوقوف عليها من خلال هذه الورقة.

تقدم البلدة أنموذجاً واضحاً لتجمع بشري مثل ثقافة مميزة أظهرت تفاعلاً بين الإنسان وبيئته المحيطة[8], كما يظهر من خلال سلوك سكانها المرتبط بالتمسك بالقيم الدينية المستندة على الاهتمام بتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الشرعية, ونشرها في المناطق المجاورة الممتدة من جنوب الصحراء حتى مناطق

الساحل عبر تنقل علمائها وارتحالهم , وما خلفوه من نتاج علمي تمثل في كم هائل من المخطوطات والوثائق يعد مرجعاً علمياً للمهتمين والبحاث. كما تقف البلدة شاهداً على حضارة الاستقرار وسط منطقة صحراوية تميز أغلب سكانها بالبداوة والترحال[12], مما أكسبها قيماً حضارية استثنائية ترجمت من خلال وضعها على قائمة التراث الثقافي في العالم الإسلامي بمنظمة العلوم والتربية والثقافة التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي (الإيسيسكو) وذلك خلال اجتماعها الحادي عشر، الذي انعقد بمقر الإيسيسكو في مدينة الرباط بالمغرب– دولة المقر– يومي18 و19 ديسمبر 2023م.

إشكالية الدراسة:

تتمثل الإشكالية في أن هذه البلدة تكتسب مقومات تراثية متعددة لم يتم استغلالها والاستفادة منها حتى الآن, وذلك نظراً لغياب المعرفة التامة بها نتيجة ضعف الوعي الثقافي بأهمية المباني التاريخية والأثرية وضعف الدور الإعلامي في إبرازها والترويج والدعاية لها, بالإضافة إلى عدم الاهتمام اللازم بها من قبل الجهات الرسمية المختصة. مما يعني أنها لازالت مورداً ثقافياً وتراثياً خاماً وكنزاً لم يكشف النقاب عن كنهه. ويجعلها عرضة لبعض المخاطر مثل مطامع لاستغلال بعض أطرافها لأغراض تجارية وخدمية ربحية ومخاطر بيئية تتمثل في تعرضها لعوامل التعرية المناخية من أمطار ورياح.

أهمية الدراسة:

تعدّ بلدة الجديد القديمة أنموذجاً للمدينة الحضارية التي قاومت عوامل الزحف والتدمير, إذ لازالت محتفظة بشكلها وتركيبتها العمرانية كمعلم تاريخي وأثري

بمنطقة الجنوب في ليبيا يتوجب الحفاظ عليها وحمايتها وتأهيلها؛ لتكون ذاكرة ومدرسة تاريخية وحلقة تواصل مع الماضي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالبلدة وإظهار خصائصها المميزة لها للوقوف على مقوماتها التراثية كمدينة تاريخية تملك مقومات تراثية يجب استثمارها والمحافظة عليها.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والاستقرائي والتاريخي، ولذا فقد تمّ وضع خطة الدراسة في ثلاثة محاور رئيسة هي:

المحور الأول– لمحة عن بلدة الجديد القديمة بمدينة سبها.

المحور الثاني– المقومات التراثية لبلدة الجديد القديمة.

المحور الثالث– رؤية في إدارة المدن التاريخية, وتوظيف مقوماتها التراثية.

بالإضافة إلى المقدمة. والخلاصة تمّ التطرق فيها للنتائج والتوصيات.

صعوبات الدراسة:

تتمثل الصعوبات في قلة المصادر والمراجع التي تناولت دراسة البلدة وتاريخها بشكل مستفيض ومفصل.

أولاً – لمحة تعريفية عن بلدة الجديد القديمة:

الموقع الجغرافي:

تقع البلدة في الشمال الغربي لمدينة سبها بإقليم فزان بالجنوب الليبي. يحدها شمالاً وشرقاً التوسع العمراني لسكان البلدة, وجنوباً الطريق المعبد الفاصل بينها وبين

سوق "الجديد" الشعبي, وغرباً الطريق المعبد الفاصل بينها وبين العمارات السكنية المعروفة بعمارات (بو رمّان). وتبلغ مساحتها قرابة 6 هكتارات[9].

الشكل (1) : صورة فضائية توضح موقع بلدة الجديد القديمة وسط التوسع العمراني لمدينة سبها

تاريخ إنشاء البلدة, ووصف أهم معالمها:

تأسست البلدة في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تقريباً[3]. وذلك من خلال استيطان بعض سكان البلدات والقرى الموجودة آنذاك– مثل (الجديد الشارف وأم الرويس والأحمر وغيرها)– حول المسجد العتيق للبلدة الذي بناه الشيخ مَحِمد الحضيري لغرض الصلاة وتلقّي العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة. حيث اتسع العمران فيما بعد ليشكل هذه البلدة بمبانيها القائمة حتى الآن, قبل أن ينتقلوا إلى المناطق المجاورة لها والمحيطة بها لبناء مساكن وفق الطراز المعماري الحديث. وقد كان آخر المغادرين في أواخر سبعينات القرن الماضي[12].

وتتميز شوارع البلدة بكونها ضيقة ومتعرجة تحمل أسماء مختلفة مثل (شارع القصر والرأس والطابق والدكوك والأقواس وغيرها), وبعضها مسقوف للجلوس في ظلها على مقاعد تسمى (دكاكين) بُنيت من الحجر والطين.

الشكل (2) : المدخل الرئيسي لبلدة " الجديد " القديمة (باب جنت عيسى)

الشكل (3) : شوارع داخل بلدة " الجديد" القديمة

الشكل (4) : أحد الشوارع الرئيسة داخل البلدة, ويظهر به جزء مسقوف وتحته مكان للجلوس (دُكّان)

ويـــوجد بالبـــلدة مـــا يقارب الثلاثمائة منـــزل, بُنيـــت حوائطها من الحجر والطين, وبعضها من القوالب المربعة المضروبة من الطين النيئ, أما أسقفها فهي من جذع النخيل. وتتكون المنازل من دور أو دورين حيث يستخدم السطح خلال فترة الصيف مساءً. ويصمّم البيت عادة من غرفتين إلى خمس غرف, واحدة أو اثنتان للنوم وأخرى للتخزين وتسمى (المربد), ووسط الحوش (الكاودي) للجلوس وتترك مساحة غير مسقوفة للتهوية, بالإضافة إلى المطبخ, ومطهرة للاغتسال وكنيف يعرف ببيت الراحة أو الأدب, وأيضاً مربط للحيوانات مثل الحمير والأغنام والحمام والدجاج وأحياناً الإبل. ويوجد بالمطبخ مناصب (ركاكيب) لوضع إناء الطبخ عليها, كما يوجد به التنور لصنع الخبز, وتحفظ أدوات المطبخ في ما يعرف بالمطمور وهي حفرة مربعة في أحد جوانب المطبخ. ومن النادر أن تجد نافذة بالغرفة, وإنما كانوا يتركون فتحة صغيرة؛ لخروج الدخان عندما يوقدون النار في فصل الشتاء, حيث كانوا يحفرون حفرة في وسط غرفة الجلوس لإيقاد النار فيها, وتتجمع الأسرة حولها[1].

الشكل (4) : صور لبعض مساكن البلدة

الشكل (5) : نموذج لأسقف من جذوع النخيل

الشكل (4) : صور لأبواب مصنوعة من جذوع النخيل

الشكل (5) : نموذج للسلالم التي تؤدي لأسطح المنازل

الشكل(6) نموذج بئر مياه شرب

ويوجد أيضاً في كل بيت بئر للشرب , وأحياناً تكون البئر مشتركة بين بيتين أو ثلاثة. وهناك آبار عامة (للسبيل) تقع ببعض الشوارع والميادين تركها أصحابها

لمن لا توجد لديهم آبار بمساكنهم, وتعرف بعدة أسماء مثل (بئر الشريف, والروماني, والبراكيل, ولبّير, وبو لحية, وغيرها) [1].

كما توجد داخل البلدة ثلاثة مساجد قديمة هي:

– **المسجد العتيق:** ويسمّى أيضاً بالجامع الكبير. يقع في شارع القصر غربي البلدة, وكان قديماً يقع داخل سور البلدة, أما الآن فيطل على الطريق الرئيس المعبد بعد أن أزيل جزء من السور المقابل له. وهو أول بناء يقام بالبلدة عندما أسسه الشيخ مَحِمد الحضيري في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وألحق به مدرسة أو زاوية لتعليم القرآن الكريم وبنى منزله بالقرب منه[2]. ولا يزال الجامع باقياً على تصميمه الأول, غير بعض التوسيعات على بيت الصلاة الرئيس من جهة المشرق التي تمّت خلال الربع الثاني من القرن العشرين الميلادي, كذلك حصلت بعض التعديلات مؤخراً وذلك على الرحاب الخارجي والمئذنة والمدخل الرئيس للمسجد الذي بُني وفق الطراز المعماري الحديث[8].

الشكل (7) : صورة حديثة لواجهة المسجد العتيق ببلدة الجديد القديمة

الشكل (8) : مئذنة الجامع العتيق كما تظهر من داخل البلدة

– **المسجد الصغير:** يقع وسط البلدة بشارع الأقواس. أُسس في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي), وقد أعيد بناؤه على الطراز الحديث أوائل النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي[9].

الشكل (9) : المسجد الصغير بعد إعادة بنائه

– **مسجد الشرفاء:** يقع أيضاً وسط البلدة في ملتقى شوارع الدكوك والطابق والرأس. أُسس في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي), وألحق به محضرة (كُتّاب) في الربع الثالث من القرن العشرين الميلادي[9].

الشكل (10) : صورة لمسجد الشرفاء داخل البلدة

وتعد هذه المساجد معالم بارزة داخل البلدة, حيث لا زالت مفتوحة للمصلين. بالإضافة إلى وجود زوايا مثل:

– **زاوية الشيخ حامد الحضيري:** والتي تُعرف أيضاً بزاوية المجلس , وقد تأسست في أوائل القرن الحادي عشر الهجري (القرن السابع عشر الميلادي), حيث ألحق بها غرفاً للسكن والإقامة وذلك لاستقبال طلبة العلم والمعرفة الوافدين من خارج البلاد لتعلم القرآن

الكريم والعلوم الدينية, ومكاناً لحفظ الوثائق والمخطوطات. وكانت من أنشط المراكز التعليمية في العطاء العلمي في منطقة إقليم فزان آنذاك, حيث ضمت العديد من العلماء الأجلاء والشيوخ الفضلاء, الذين كانت لهم نتاجات علمية متعددة[2].

– **زاوية الشيخ عثمان العالم:** المؤسسة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (1280 هـ – 1868 م), وقد ألحق بها مؤسسها مكتبة احتوت على عدد كبير من المخطوطات في شتى المجالات, وتعتبر مادة دسمة للباحثين والمهتمين لغرض التحقيق والدراسة[4].

الشكل (11) : نموذج لبعض المخطوطات التي وجدت بمكتبة الشيخ عثمان العالم

وكانت تتوسط البلدة قلعة تقع على قمة مرتفعة تشرف على مداخلها الأربعة التي كانت موجودة بالسياج المحيط بها[1]. وهذه المداخل هي (باب عيسى, باب بورمان, باب اللكية, وباب بوطبقين). وكان بجانب كل باب صومعة عالية, بها فتحات صغيرة للمراقبة والحراسة.

تقع مقبرة البلدة في الناحية الغربية منها على بُعد حوالي نصف كم تقريباً, وهي مشهورة باسم مقبرة الشيخ حامد الحضيري[8]. ويرجع تاريخ الدفن بها إلى ما قبل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) حيث كانت موجودة قبل وفاته ويدفن بها

أغلب سكان البلدة. وهذه المقبرة يوجد بها العديد من أضرحة المشايخ والعلماء المشهورين , وذلك قبل أن يتم هدمها مؤخراً.

الشكل (12) : موقع المقبرة بالنسبة للبلدة

كما تحوي البلدة معالم أخرى أهمها: مدرسة اليونسكو, والمستشفى والسجن الفرنسي الذي تأسس خلال حقبة الانتداب الفرنسي لإقليم فزان, بالإضافة إلى مبنى كان يستخدم مركزاً إدارياً لولاية فزان وهو ما يعرف حالياً بمنزل أو "حوش البي"[13].

الشكل (13) : المركز الإداري لولاية فزان (حوش البي)

الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية لسكان البلدة:

تميّزت البلدة بنشاط علمي واجتماعي منذ إنشائها, إذ كان يوجد بها العديد من الكتاتيب والخلوات الملاصقة لمساجدها امتداداً لزاوية الشيخ مَحِمد الحضيري التي أسسها في جانب من المسجد العتيق للبلدة, وقد كان تعلم القرآن الكريم هو الأساس والمنطلق لكافة العلوم , وكانت من الوسائل المستخدمة في تعلمه هي اللوح والقلم في

محاضر أو زوايا مخصصة لذلك[1]. كما أن الفقه كان يدرس في المساجد تحت عرصات أقواسها أو في زوايا عرفت بأسماء أشهر علمائها[4].

واشتهر العديد من سكان وأهالي البلدة كعلماء وفقهاء نقلوا العلم وقاموا بتعليمه داخل ليبيا وخارجها. كما انتشروا في كثير من المناطق في شمال أفريقيا وكان لهم دوراً سياسياً واجتماعياً خلال الحقب التاريخية المختلفة التي مرت بها فزان تحديداً وليبيا عموماً[2].

وكان الشيخ عبد الرحمن بن محمد البركولي الحضيري رئيس الجمعية الوطنية بفزان التي تأسست في عام 1946م هو أحد مناضلي فزان من سكان هذه البلدة، والتي كانت لها ولهم الكلمة الفصل في رفض الوصاية الفرنسية على إقليم فزان، وضمه لمستعمراتها في تشاد والجزائر، والتأكيد على الاستقلال مع كل من طرابلس وبرقة لتكوين المملكة الليبية المتحدة[15]. كما شارك عدد من أهالي البلدة في معارك الجهاد والدفاع عن الوطن في عدة مواقع ومعارك مثل الهاني والشط وأبو مليانة وسواني بن يادم, وآخرها معركة قاهرة التي انطلقت من بلدة الجديد بقيادة الشهيد عبدالقادر بن مسعود[16].

وكان لسكان البلدة عاداتهم وتقاليدهم في جميع مناشطهم ومناسباتهم الاجتماعية, مثل الزواج والأعياد والمواسم الدينية في رمضان والمولد النبوي وغيرها. وكانت لهم ممارستهم الخاصة لبعض الألعاب الشعبية كالتلّو والشيشباني وأم التخطي وغيرها[1].وكانت أغلب الصناعات التقليدية بالبلدة تعتمد على المواد والخامات المتوفرة محلياً مثل أشجار النخيل وصوف الأغنام وجلود الحيوانات وأطيان الطُفَل, حيث صنعوا منها بعض الأغذية الأغطية والملابس والأحذية والأواني وغيرها[9]. كما

مارس أغلب سكان البلدة مهنة الزراعة وتربية الحيوانات كالأغنام والطيور وذلك لسد حاجاتهم ومتطلباتهم اليومية والضرورية[13].

الوضع الحالي للبلدة :

لا تزال البلدة تحتفظ بشكلها وتركيبتها المعمارية, وهي في حالة جيدة جدا من حيث بُنيتها الهيكلية المتكونة من المباني السكنية والمساجد والزوايا وغيرها[8]. وتحتفظ بنفس ملامحها التي شيدت بها مما يعطيها جمالاً يجعل منها معلماً سياحياً لافتاً ومقصداً للزائرين الذين يتوافدون عليها في المهرجانات والمناسبات الدينية مثل شهر رمضان والمولد النبوي الشريف والأعياد, ويُضفي عليها إحساساً وجدانياً لاسترجاع ذكريات الماضي, خاصة وأنها تقع ضمن منطقة حيوية وسط الاكتظاظ السكاني بالمدينة.

وتقع البلدة تحت مظلة القانون رقم (3) لسنة 1994 م بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية ولائحته التنفيذية[6]. وقد صدر قرار اللجنة الشعبية العامة (سابقاً) رقم (256) لسنة 2007 م بشأن تبعيتها إدارياً لجهاز المدن التاريخية, وتمّ تسجيلها بالسجل الوطني لمعالم والمباني التاريخية[14] تحت رقم (126) ومنح لها رقم التصنيف (01.02.030). كما تمّ تسجيل البلدة على قائمة التراث الثقافي في العالم الإسلامي بمنظمة العلوم والتربية والثقافة التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي (الإيسيسكو) التي تضم حوالي 60 دولة من دول العالم[14]. وذلك خلال اجتماعها الحادي عشر، الذي انعقد بمقر الإيسيسكو في مدينة الرباط بالمغرب –دولة المقر– يومي 18 و19 ديسمبر 2023 م.

الشكل (14) : صورة لشهادة تسجيل البلدة على قائمة التراث في العالم الإسلامي

مجلس أهالي بلدة الجديد القديمة:

نظراً لأهمية البلدة وما تملكه من مقومات تراثية يتوجب الحفاظ عليها؛ فقد تنادى الأهالي واجتمعوا لتأسيس مجلس تحت مسمّى (مجلس أهالي بلدة الجديد القديمة) يكون بمثابة الممثل والمرجعية لهم في كل ما يتعلق بشؤون البلدة, وذلك بتـاريخ: 17 ذو القعدة 1443 هـ 2022/6/17 م[12]. ويختص المجلس بوضع الخطط والبرامج الخاصة بإدارة البلدة والمرافق الكائنة بها وحمايتها وتطويرها والإشراف عليها، وإحياء إرثها الحضاري والثقافي المتميز والمحافظة على الشكل التاريخي لها عمرانياً ومعمارياً.

كما يهدف تشكيل المجلس بشكل عام إلى:

1- عكس الموروث الثقافي والحضاري لأهالي البلدة المستمد والمنبثق من الشريعة الإسلامية والمبني على القيم الأخلاقية والعرفية, وترسيخه في محيطهم الاجتماعي ومناطق توسعاتهم العمرانية. وتنظيم الفعاليات والأنشطة والبرامج اللازمة لتحقيق ذلك.

2- العمل على توظيف مقومات البلدة التاريخية والطبيعية والثقافية. وتوجيه الأهالي لطرق الاستفادة من ممتلكاتهم بالبلدة وإتاحة خيارات استغلالها بما يتوافق مع المعايير والضوابط الموضوعة لذلك.

3- المحافظة على النسيج الاجتماعي المتماسك لأهالي البلدة وتوفير عوامل استمراريته. وإثبات الهوية المتميزة لأهاليها والاعتزاز بها.

4- التنسيق والتواصل مع المؤسسات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني ذات الطبيعة والاهتمام المشترك والاستفادة من خبراتها وخدماتها.

5- التعاون مع المؤسسات الحكومية المختصة بالتراث والآثار, والقيام بمهام مكملة لمجهودات الدولة وبرامجها التي تخدم البلدة وفقاً للتشريعات والقوانين النافذة[12].

وقد قام أهالي البلدة بالتعاون مع الجهات الرسمية بأعمال صيانة موسعة في ثمانينيات القرن الماضي. وبعد صدور قرار تبعيتها لجهاز المدن التاريخية وتشكيل مجلس الأهالي أصبح هاتان الجهتان هما الجهات الفاعلة للقيام ببعض أعمال الصيانة والترميم الدورية وأعمال التنظيف وتنظيم الجولات السياحية والعلمية وغيرها[8].

ثانياً – المقومات التراثية لبلدة الجديد القديمة:

تمثل الإمكانات الطبيعية للبلدة من خلال عناصرها التراثية المختلفة مكامن قوة أكسبتها مقومات عديدة– تاريخية ,جغرافية, معمارية, مناخية, ثقافية, علمية, ووجدانية– يمكن استثمارها. وتتمثل هذه العناصر في:

– القيمة التاريخية للبلدة والتي يتجاوز عمرها الـ 500 عام, بما مرّ بها من أحداث تاريخية مهمة واحتفاظها ببنيتها المعمارية متكاملة.

– موقعها الجغرافي كملتقى لوجهات سياحية متعددة وسط أكبر مدن المنطقة, ووجود تنوع في المظاهر البيئية الطبيعية المحيطة.

– مكوناتها المعمارية المتمثلة في المساكن والمساجد والزوايا, بالإضافة للشوارع والساحات والمجالس والآبار وغيرها.

– الطبيعة المناخية المعتدلة للبلدة, نتيجة العزل الحراري الذاتي لحوائط مبانيها, وتوفر الظلال في شوارعها الضيقة والمتعرجة.

– البعد الثقافي والحضاري لسكانها, والذي انعكس بدوره في الاستقرار والأمان الذي يسود المنطقة بعد خروجهم وانتشارهم حولها, واحتفاظهم بعاداتهم وتقاليدهم المتوارثة.

– الجانب الروحي والديني وأبعاده الفكرية والوجدانية الجاذبة لاسترجاع الذكريات خاصة في المناسبات الدينية مثل رمضان والمولد النبوي وغيرها.

– المقومات العلمية المتمثلة في المخطوطات والوثائق التاريخية الخاصة بتسجيل الأحداث أو الإنتاج الأدبي من شعر وخواطر أو المتعلقة بالبيع والشراء والوصايا المالية ومختلف العقود[5].

ثالثاً– رؤية في إدارة المدن التاريخية, وتوظيف مقوماتها التراثية:

من خلال الاستعراض السابق؛ وفي إطار الحفاظ على مقدرات المدن والمعالم الأثرية – بشكل عام– يمكن اتخاذ خطوات عملية ووضع رؤية للتعامل معها على أساس من الاستدامة تسهم في حمايتها وترتكز على ما يلي:

1– تطوير ومراجعة المفاهيم السائدة لدى الأفراد وجهات الاختصاص المتعلقة بالتراث الثقافي عموماً والمادي على وجه الخصوص وترسيخ منظور ايجابي حول أهمية احترام المعالم الأثرية والمدن التاريخية باعتبارها ثروة وطنية تهم المجتمع ككل.

2– بناء المعايير اللازمة لتصنيف المدن التاريخية والمواقع والمعالم الأثرية في ليبيا, وذلك من حيث العمق التاريخي والموقع الجغرافي والأهمية الأثرية, بالإضافة إلى طبيعة المكون الديموغرافي والحضري المحيط بها[7]. وبما يمكّن من معرفة حجم وطبيعة استثمار واستغلال المقومات التراثية المرتبطة بها, وانعكاسات ذلك وآثاره على

حاضر ومستقبل التنمية المكانية بالمناطق المعنية, ومردود ذلك من النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية على المستويين الوطني والمحلي.

3- تبنّي أساليب مهنية سليمة ودقيقة لضبط وتحديد مقدار الضرر اللاحق بالمعلم الأثري أو التاريخي من حيث حجم الفاقد وماهيته وقيمته وأهميته, وبناء الآليات القادرة على تصحيح الوضع ومعالجة وترميم الأضرار وسن التشريعات الفاعلة والقادرة على فرض الضوابط المناسبة بالخصوص. واتخاذ الإجراءات العاجلة والكفيلة بتجميد أي أعمال تعديل أو تغيير غير مرخص بها أو تخريب أو عبث أو حتى تطوير غير مدروس. والعمل على ترميم الأجزاء المتضررة وصيانتها.

4- التعجيل ببناء قاعدة بيانات وطنية شاملة تهتم بعناصر ومكونات الموارد الثقافية التراثية للمعالم والآثار التاريخية , وما يمت لهذه الموارد بصلة من وثائق ومخطوطات ودراسات وأبحاث وصور فوتوغرافية وأفلام وثائقية مسجلة ومرئية, وأي مقتنيات عائدة لها.

5- العمل عبر الشراكة مع جميع القطاعات العامة والخاصة لتنفيذ خطط الحماية للمدن والمعالم الأثرية والحفاظ على مقوماتها ومقدراتها والتنسيق معها بشكل متكامل وانسجام تام.

6- تنسيق الجهات المختصة بإدارة المدن التاريخية مع عدد من الجهات المانحة لتمويل خطط وبرامج التطوير وإعادة التأهيل لتلك المدن لاستغلال مقوماتها التراثية, وذلك وفق مبدأ استثماري واضح ومنصف. واعتماد عدد من الخيارات المحفزة فيما يخص التعامل مع مالكي مرافق ومباني ومحتويات المدن القديمة, وبما ينسجم مع تثمين وتقييم الأثر التاريخي من جوانبه المختلفة وفق الضوابط والشروط المعتمدة. وذلك إما

بتنازل المالك أو استئجاره منه أو السماح له باستغلاله وفق الضوابط المحددة مع المتابعة والإشراف.

7- استحداث مكاتب للإشراف والمتابعة يخص كل مدينة تاريخية على حدة, تحوي وظيفة ملاحظ وحارس آثار, ويكون مقارها بمحيط تلك المدن أو بالقرب منها.

8- إعداد واعتماد كراسة موحدة بالضوابط والشروط الملزمة في إدارة المدن التاريخية والمعالم الأثرية أو استغلال أي من مرافقها ولأي غرض كان أو من أي طرف كان.

9- تدريب وتعليم وبناء قدرات لأشخاص قادرين على الحفاظ والتطوير والاستخدام الأمثل للموارد التراثية باستخدام الأساليب والوسائل العلمية والفنية المتاحة.

كما يمكن استثمار وتوظيف المقومات التراثية لهذه المدن من خلال:

- إمكانية استغلال مكوناتها المعمارية في استخدامات متعددة, مثل تجهيز بعض المنازل القديمة كأماكن للسكن والإقامة والمبيت للزوار والسياح (سكن فندقي).
- تفريغ بعض المساحات لإقامة خدمات سياحية مثل: (مقاهي, منتزهات, أسواق شعبية, ساحات للألعاب الشعبية. الخ).
- تجهيز بعض المواقع كمدينة تراثية للإنتاج الإعلامي والفني (تمثيل وتصوير البرامج الإعلامية والتاريخية).
- إقامة مكتبة علمية للمخطوطات والوثائق وإتاحة محتوياتها للإطلاع والتحقيق والدراسة من قبل الباحثين والمهتمين.
- إقامة متاحف لحفظ المقتنيات التاريخية القديمة وعرضها والتعريف بها.
- عمل مراكز تدريبية للفنون والتراث مثل تعليم النسيج وبعض الأشغال اليدوية, ومدارس للخط العربي, وورش لترميم المخطوطات, والصناعات الجلدية ومنتجات النخيل, وغيرها.

– إقامة معارض وأسواق للصناعات التقليدية والمنتجات المحلية, وخلق فرص عمل للشباب وربات البيوت من خلالها.

إقامة مهرجانات ونشاطات ثقافية تراثية وإحياء حفلات الشعبية الموجودة داخل أروقة وساحات وميادين هذه المدن.

التشجيع على إجراء الدراسات والبحوث حول هذه المعالم والمدن التاريخية, والسعي لإدراجها ضمن قوائم التراث الإنساني العالمي بالمنظمات الإقليمية والدولية.

النتائج:

في ضوء ما تقدم؛ يمكن الخروج بعدة نتائج على النحو التالي:

- بلدة الجديد القديمة بمقوماتها التراثية هي كنز تراثي وحضاري مهم يجب المحافظة عليه. وتعتبر هذه المقومات بجميع عناصرها موارد خام ينبغي الاستفادة منها؛ إذ إنها تعكس القيمة الحضارية العمرانية للبلدة والثقافية لأهاليها, وتظهر ملامح الأصالة والعراقة لتاريخهم وتقاليدهم المتوارثة.
- إمكانية تحقيق انتعاش اقتصادي من خلال تشجيع الاستثمارات المحلية والأجنبية للاستفادة من مقومات المدن والبلدات التاريخية, كما أن الاستثمار الأمثل للمقومات التراثية من شأنه المحافظة على الهوية العمرانية والثقافية لهذه المدن والبلدات.

التوصيات:

1– العمل على ترميم وصيانة البلدة بشكل لا يؤثر على حالتها الأصلية ويحافظ على الهيئة الأقرب إلى طبيعتها والإبقاء على طابعها الأثري وتراثها الثقافي والتخلص من آثار التلف التي تظهر عليها. مع إمكانية التوفيق ما أمكن لمواكبة معايير ومقتضيات التجديد اللازمة, مثل تزويد شوارع البلدة بالإضاءة التي تعمل بالطاقة

الشمسية وأجهزة الحماية والمراقبة ضد أي تخريب أو عبث يمكن أن يطال أي جزء منها والتي تعمل من خلال التقنية اللاسلكية.

2- تشجيع وتحفيز سكان البلدات القديمة والمدن والقرى التاريخية بحواضر الصحراء الليبية على تشكيل مجالس وجمعيات أهلية لسكانها وتكوين اتحادات وروابط فيما بينهم للعمل على إظهار الموروث الثقافي لهذه المنطقة وإبراز التراث العمراني الصحراوي والحفاظ على العادات والتقاليد الموروثة.

3- عقد الندوات والملتقيات والمؤتمرات العلمية الخاصة بتقييم سياسات واستراتيجيات الصيانة والتصنيف والوسائل التشريعية اللازمة للحفاظ على الموروث الثقافي بشكل عام المادي والغير مادي.

المراجع:

1. فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور– أبوبكر عثمان القاضي الحضيري/ مركز دراسات وأبحاث شئون الصحراء.

2. زاوية الحضيري, دورها وتأثيرها العلمي والاجتماعي في فزان – د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري / مجلة أصول الدين (المجلد السابع, العدد الأول, يونيو 2023 م)– الجامعة الأسمرية الإسلامية.

3. معجم البلدان الليبية– الطاهر الزاوي/ منشورات مكتبة النور– طرابلس– الطبعة الأولى 1968 م.

4. الحياة العلمية في فزان في القرنين السادس والسابع عشر الميلادي – حبيب وداعة الحسناوي/ مجلة الفصول الأربعة, العدد الثالث, ط 1978 م.

5. المسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان (مخطوطة محققة)– أبوبكر عثمان القاضي الحضيري 1996 م.

6. دراسة المخطط العام لبلدة "الجديد" القديمة بمدينة سبها– إدارة جهاز المدن التاريخية / وزارة الحكم المحلي – ليبيا 2012 م.

7. رؤية في إدارة المدن التاريخية– مكتب ابن رشد للاستشارات الهندسية والتطوير التقني والصناعي/ سبها 2013 م.

8. االستمارة الترشيح على قائمة التراث المادي والطبيعي في العالم الإسلامي لبلدة الجديد القديمة بمدينة سبها – إعداد: د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري/ 2023 م.

9. العرض المعد للمشاركة في المؤتمر الدولي الثاني للسياحة في ليبيا "بلدة الجديد القديمة بسبها.. مورد خام للسياحة التاريخية" / د. إبراهيم أحمد المختار الحضيري 2019 م.

10. مذكرات المرحوم الشيخ سالم بن حسن الحضيري: عضو مجلس النواب الليبي بالمملكة (1917– 1994 م).

11. مخطوطات بمكتبة الدكتور محمد المدني الحضيري/ سبها – الجديد.

12. محضر تأسيس مجلس أهالي بلدة الجديد القديمة بمدينة سبها.

13.روايات متواترة من بعض المهتمين والمؤرخين من سكان وأهالي بلدة الجديد القديمة / سبها 2024 م.

14.صفحة الفيسبوك لجهاز إدارة المدن التاريخية / ليبيا 2024/1/17 م.

15.صفحة الفيسبوك للجمعية الوطنية بفزان– المكتب الإعلامي/ سبها 2019/01/05 م.

16. صفحة الفيسبوك للمجلس العائلي لآل الحضيري/ سبها, الجديد 2023/12/25 م.

صفحة مخطوطات أبناء الحضيري Hodairis' Manuscripts على الفيسبوك.